دراسة تاريخية لبناء الجامع الأموي الكبير بحلب وعمليات الترميم التي طرأت عليه إبان الحضارة العربية الإسلامية

وسيلة سماني*، مها الشعار، عمار كعدان*****

* طالبة دراسات عليا (دكتوراه)، قسم تاريخ العلوم التطبيقية، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب

** قسم تاريخ العلوم التطبيقية في معهد التراث العلمي العربي–جامعة حلب

*** قسم الهندسة الإنشائية في كلية الهندسة المدنية–جامعة حلب

الملخص

يتضمن هذا البحث دراسة توثيقية تاريخية لتاريخ بناء الجامع الأموي الكبير في حلب، ويعرض أسلوب ومواد البناء المستخدمة أولاً خلال مراحل إنشائه، وثانياً خلال عمليات الترميم والتدعيم التي طرأت عليه، يتألف البحث من أربعة أقسام وفق ما يلي:

القسم الأول يقدم دراسة تاريخية لموقع الجامع، ويتضمن القسم الثاني دراسة تاريخ البناء الأول للجامع، القسم الثالث يبحث في التغيرات التي طرأت على الجامع خلال الحضارة العربية الإسلامية، وفي القسم الرابع دراسة تاريخية موجزة لمئذنة الجامع الأموي الكبير والتغيرات التي طرأت عليها.

يتم بعد ذلك تقديم بعض الاستنتاجات التي تم التوصل إليها ومناقشتها للوصول بعدها إلى عدة بنود للتوصيات المقترحة.

الكلمات المفتاحية: الجامع الأموي الكبير، العصر الأموي، إعادة بناء، ترميم، مئذنة الجامع الأموي الكبير.

ورد البحث للمجلة بتاريخ 24 /7/ 2018

قبل للنشر بتاريخ 28/10/ 2018

Studying the Construction History of the Great Umayyad Mosque in Aleppo and Its Restoration During Islamic Arab Civilization

Waseela Sammani*, Maha Al-shaar **, Ammar Kaadan***

* Postgraduate Student (PhD), Dept. of the History of Applied Science, Institute of Arab Scientific Heritage, University of Aleppo

** Dept. of the History of Applied Science, Institute of Arab Scientific Heritage, University of Aleppo

*** Dept. of Structural Engineering, Faculty of Civil Engineering, University of Aleppo

Abstract

The Great Umayyad Mosque in Aleppo is considered the best witness of the history of Aleppo City. It is a great architectural work, which has had different and various restorations throughout the Islamic historical ages.

This research includes a historical documentary study of the construction history of the Great Umayyad Mosque in Aleppo, and it demonstrates the grace of the construction of such a monument, in addition to the building materials used, first during its construction stages, and second during the restoration and the retrofitting processes.

It comprises four parts, including Part I: the site study of the mosque. Part II: the history study of the first construction of the mosque. Part III: the changes in the mosque during successive times. Part IV: A brief historical study of the minaret of the Great Umayyad Mosque and the changes that have taken place on it.

Eventually, the conclusions found by this study were presented to reach the suggested recommendations.

Keywords: Great Umayyad Mosque, Umayyad Period, Reconstruction, Restoration, Renovation, Minaret of the Great Umayyad Mosque.

Received 24/ 7 / 2018
Accepted 28/ 10 / 2018

مقدمة:

يعتبر الجامع الأموي الكبير بحلب خير دليل على تاريخ المدينة فهو معلم معماري ضخم غني بالكثير من الإضافات على مر العصور الإسلامية المتعاقبة، فلا يوجد عصر من هذه العصور إلا وترك فيه شاهداً عليه، فقد حافظ الجامع على الشكل العام لبنائه من حيث مكان القبلية والأروقة والأبواب، وتمثل عمارته الحالية مزيجاً من عمارة العصر المملوكي والعثماني، أما المئذنة الحالية فتعود إلى العصر السلجوقي.

أهمية البحث:

- إعداد دراسة توثيقية تاريخية للجامع الأموي الكبير في حلب، والبحث في أسلوب الإنشاء، ومواد البناء المستخدمة أولاً خلال مراحل إنشائه، وثانياً خلال عمليات الترميم والتدعيم التي طرأت عليه خلال المراحل الزمنية المتعاقبة.
- التركيز على تاريخ ومراحل إنشاء المئذنة ووصفها هندسياً لإعادة بنائها في الوقت الحاضر.

هدف البحث:

تكوين تصور كامل عن الجامع كخطوة أولى يمكن الرجوع إليها في أثناء عملية إعادة تأهيل الجامع بعد إصابته بأضرار كبيرة في فترة الحرب الأخيرة، وخاصة المئذنة التي دمرت بشكل كامل.

1- موقع الجامع:

يعتبر جامع بني أمية بحلب من أكبر جوامع المدينة وأقدمها، يتوسط المدينة القديمة في محلة سويقة حاتم في المنطقة العقارية السابعة ويشغل المحضر رقم (3001)، ويُعتبر نموذجاً حياً لتصميم المدينة الإسلامية فهو قلب المدينة القديمة ويجاور قلعتها التي كانت مركز الحكم في أغلب العهود الإسلامية، الشكل (1)،

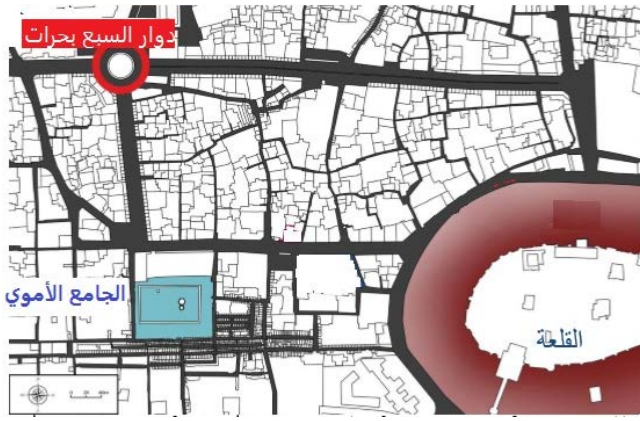

الشكل(1): توضع الجامع بالنسبة للقلعة والأسواق (مديرية المدينة القديمة)

تذكر الروايات التاريخية أن موقع الجامع كان ساحة (أغورا) في العهد الهلنستي، وأصبح فيما بعد حديقة ومقبرة (الجزء الشمالي من الجامع) ومُلكاً للكنيسة اليونانية خلال فترة الحكم الروماني في سورية (64 ق.م–637م) [1]، وعندما فتح العرب المسلمون حلب (16هـ/ 637م) صالحوا أهلها عليها، يذكر ابن شداد أن موضع الجامع كان بستاناً للكنيسة العظمى في أيام الروم، ولما فتح المسلمون حلب صالحوا أهلها على موضع المسجد الجامع "[2].

2- تاريخ الجامع:

يعود تاريخ بناء الجامع إلى العصر الأموي، وقد اختلف المؤرخون على صاحب فكرة بناء الجامع حيث تذكر بعض المصادر التاريخية أن الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك بناه على نمط الجامع الأموي بدمشق الذي بناه أخوه الوليد بن عبد الملك وقد أراد أن ينافس أخاه في أعماله العمرانية[3] ، فأولى هذا الجامع عناية فائقة، وأنفق عليه أموالاً ضخمة، وجعله تحفة فنية رائعة في جمالها وسعتها واتقانها، يقول ابن شداد "وقد سمعت بأن باني الجامع هو سليمان بن عبد الملك الذي لم يوفر جهداً أو مالاً لمساواته مع الجامع الكبير في دمشق الذي أمر بتشييده شقيقه الوليد" [2].

بينما يميل بعضهم إلى أن الوليد بن عبد الملك بناه ضمن سلسلة الأبنية الرائعة التي قام بها في أيام خلافته، كالمسجد الأموي في دمشق وغيره، وأن أخاه

الخليفة سليمان بن عبد الملك أكمله بعد وفاة الوليد[3]، على اعتبار أن الوليد بن عبد الملك توفي عام (96هـ/ 715م) وهذا يدل أن البناء لم يكتمل في عهده، وقد دامت خلافة سليمان بين عامي (96–99هـ/715–717م)، مما يعني أن المسجد أنشأ خلال عامي (92–99هـ/710 –717 م)، ويستدل هؤلاء ذلك بما كان في الجامع الأموي في حلب من زخارف ونقوش وفسيفساء ورخام لا نظير له إلا في مسجد دمشق، وبأن الوليد أمر شخصياً بجمع أحجار كنيسة سيروس المتهدمة والمهجورة وأشياء أخرى والتي كانت تعتبر إحدى عجائب الدنيا واستخدمها في بناء الجامع، ولما علم ملك الروم بما يفعله المسلمون طلب أن يتركوا أعمدة الكنيسة الرئيسة الثلاثة، أو أن يرسلوها إليه في مقابل سبعين الف دينار، فلم يسمح الوليد بن عبدالملك له بذلك، يقول عنها ابن شداد في أعلاقِه: "إنها – أي الكنيسة– كانت من عجائب الدنيا، وإنَّ ملك الروم بذل في ثلاثة أعمدة كانت فيها سبعين ألف دينار" [2].

لا توجد أي معلومات واضحة تدل على الشكل الأصلي للجامع في العصر الأموي سوى أنه أقيم على المخطط الأصلي للجامع الأموي الكبير بدمشق، كما تؤكد بعض المصادر أن مئذنة الجامع الأصلية كانت تقع عند زاوية التقاء الجدار الغربي للجامع مع الجدار الشمالي للقبلية، وقد شُوهد بابها ورسمها من أعلى السطح عند ترميم الجامع عام (1170هـ /1756م–1757م)[4] .

3– التغيرات التي طرأت على الجامع خلال الأزمنة المتعاقبة:

تعرض الجامع الأموي بحلب إلى محن قاسية عبر تاريخه الطويل، إلا أنه كان يجابه المحن ولا يلبث أن يعود سيرته الأولى، مركزاً دينياً وسياسياً هاماً.

العهد العباسي: في أوائل العهد العباسي انتقلت عاصمة الدولة إلى بغداد، فقل شأن سوريا عموماً وخاصة دمشق وحلب ولحق الخراب والإهمال الجامع الأموي بحلب، كما قام البعض بنقب حجارته ورسومه ونقلوها إلى جامع الأنبار في العراق كما ذكر بعض المؤرخين[5].

العهد الحمداني: استقر الأمن وعادت إلى حلب أهميتها الأولى وعاد الجامع إلى عمارته التي كان عليها عندما أصبحت حلب عاصمة للأمارة الحمدانية

عـام (333 هـ/945م)، ولكـن الحـرب الكبيـرة التـي دارت رحاهـا بـين البيـزنطيين والحمـدانيين جلبـت الخـراب فـي أحـد المـرات إلـى الجـامع حيـث تمكـن الإمبراطـور البيزنطي نقفور فوكاس (351 هـ/ 962 م) من دخول مدينة حلب وأحرق الجامع [6]، ودمر مئذنته الأصلية، إلا أن سيف الدولة عاد وأصلح جامعها الكبير وأكمل المهمة ابنه أبو المعالي سعد الدولة ومولاه قرعويه (غلام أبيه) عام (354 هـ/965م)، وبنى حوض الوضوء الذي تعلوه قبة في وسط الصحن (قبة الفوارة)، كتب على الجرن المذكور : "هذا ما أمر بعمله قرعويه غلام سيف الدولة بن حمدان سنة 354 هـ"، وقد محيت آثار هذه الكتابة عام (1302هـ/1884م) حين رمم هذا الحوض أيام والي الدولة جميل باشا[4] .

عهد الدويلات: بنى الجهة الشرقية من الجامع قضاة بني عمار (بني عماد الدين) الذين كانوا حكام طرابلس الشام في ذلك الوقت وذلك في القرن الخامس للهجرة/ القرن الحادي عشر الميلادي، وقد كانت هناك كتابة يُقرأ عليها:" شيد القسم الشرقي من الجامع قضاة بني عمار أمراء طرابلس السورية الكبار" [4].

وفي عام (451 هـ/1059 م) نتيجة الظروف القاسية التي مرت بها مدينة حلب من كثرة الغزوات والحصار، قرر متولي أوقاف الجامع الأموي بناء مصنع كبير في صحن الجامع ليخزن فيه ماء القناة فيكون عوناً لأهل المدينة في حالة هاجمها عدو وقطع عنها ماء قناة حيلان2] .

العهد الزنكي: أُحرق الجامع الكبير في عهد نور الدين الزنكي عام (564هـ/ 1169م) بعد فتنة داخلية كما احترقت معه جميع الأسواق المجاورة [3]، فقام نور الدين بإعادة بنائه مستخدماً أحجار مقالع حلب الرئيسية الواقعة على الجهة الشمالية لأحياء حلب قرب ينابيع عين التل وبعادين، إذ تم تجهيز أعمدة الجامع الصفراء من مناجم بعادين، وجلب بقية الأعمدة من جامع قنسرين الخرب يومذاك، لأن جميع أعمدة جامع حلب الكبير كانت سابقاً من الرخام الأبيض فلم تتحمل حرارة الحريق العالية وانهارت جميعها على الأرض، مما استدعى البحث عن بدائل أخرى تكون أكثر تحملاً للحرائق، فكان الحل هو استخدام الحجر الأصفر في بنائها، وكانت بعض التيجان

ملقاة على قواعد الأعمدة في باحة المجامع فقاموا بجمعها ووضعها في أمكنتها الأصلية على الجهة الغربية من الرواق[4]، وكان الجزء الجنوبي من الطرف الشرقي في القبلية عبارة عن سوق خُصص للجامع كوقف لذلك لم يكن مسقطه مستطيلاً في ذلك الوقت، ورغب نور الدين بضم السوق إلى الجامع ومن أجل ذلك استفتى الفقهاء ومنهم الفقيه علاء الدين أبا الفتح عبد الرحمن بن محمود الغزنوي الذي أفتاه بجواز تغيير المعالم فهُدمت السوق وضُمت إلى الجامع وتوسعت مساحته وأصبح أكثر بهاءً. يقول ابن العديم: "رأيت شخصياً الفتوى التي حررها الغزناوي بيده" [5]، كما بنى نور الدين الزنكي الأروقة غربي الصحن بسقف خشبي، وخصص بعد ذلك أوقافاً عديدة للجامع، كما أمر بنصب منبر جديد مصنوع من الخشب يماثل تماماً المنبر الذي وضعه في بيت المقدس بعد أن حرره صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين، الصورة(1).

وقد كتب على هذا المنبر بعد البسملة: "أمر بعمله العبد الفقير إلى رحمته الشاكر لنعمته المجاهد في سبيله المرابط لإعلاء دينه العادل نور الدين ركن الإسلام والمسلمين منصف المظلومين من الظالمين أبو القاسم محمود بن زنكي بن أيوب ناصر أمير المؤمنين عز الله أنصاره وأدام اقتداره وأعلى مناره في الخافقين ألويته وأعلامه وأعز أولياء دولته وأذل كفار نعمته وفتح له وعلى يديه وأقر بالنصر والزلفا عيناه برحمتك يا رب العالمين وذلك في شهور أربعة وستين وخمسمئة"[4] .

الصورة(1) منبر المسجد الأقصى في القدس الشريف[7]

العهد المملوكي: تعرض العالم الإسلامي عام (656 هـ/ 1258م) إلى غزوة مدّمرة قادها هولاكو التتاري، فأسقط بغداد، بعد ذلك قاد التتار نحو الغرب فاستولى على حلب عام (658 هـ/ 1258م) بعد صمود كبير ودفاع مستميت من قبل أهلها، وأباحها هولاكو لجنوده سبعة أيام، فنشروا الخراب في كل أرجائها، وقبل أن يغادروا المدينة تركوها شعلة من اللهب والدخان، ودخل مدينة حلب معه ملك المملكة الأرمنية في كيليكيا (هيثوم الأول - Hethum I) أو كما يسمى صاحب سيس حليف المغول في تلك الفترة، فتوجه إلى الجامع الأموي وقتل فيه ناساً كثيراً، ثم أحرقه[8] فتضرر من ذلك الحريق الحائط القبلي للجامع.

في عام (659 هـ/1260 م) تم نقل الصندوق الرخامي الذي يقال: إنه يحوي رأس سيدنا زكريا عليه السلام من قلعة حلب بعد أن أحرق مقامه في القلعة من قبل التتار، ووضع ضمن بنيان الجدار القبلي للجامع [4].

وقد أعيد إعمار حلب وإعمار جامعها الكبير في عهد الملك الظاهر بيبرس، (ت:676 هـ /1277م)، الذي عقد الجمالون الخشبي على القبلية والجهة الغربية من الجامع وعمل له سقف متقن[4].

في عام(679 هـ/ 1280م) عاد المغول بقيادة أبغا وأعوانهم من الأرمن بقيادة صاحب سيس " ليو الثالث" لغزو مدينة حلب[8] في غفلة من أهل المدينة و" ليو الثالث" هو ابن هيثوم الأول[9] **على خلاف بعض المراجع التي ذكرت أن صاحب سيس هو نفسه الذي عاود غزو مدينة حلب** [4]، فأحرقوا مساجدها ومدارسها وقتلوا معظم أهلها[4]، وكان للجامع الأموي نصيبه من الدمار والخراب كما احترق المنبر (منبر نور الدين الزنكي).

بعدها أعاد نائب حلب المملوكي قره سنقر الجوكندار عمارة الجامع وترميمه في عهد السلطان قلاوون (679هـ/1280م)، وجعل سقف الجامع قبواً متقاطعاً يستند إلى دعامات بدلاً من السقف الجمالوني الخشبي المستند إلى أعمدة، واكتمل البناء والترميم عام (684هـ/ 1285م)، وفي هذه العمارة تم إعادة بناء المحراب الكبير وسط جدار القبلية كما هو مذكور في الكتابة أعلى المحراب " أمر بعمارته بعد حريقه مولانا

السلطان الأعظم الملك المنصور سيف الدنيا قلاوون أعز الله نصره" [4].

كما تم صنع منبر للجامع أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وأقامه كافل حلب قره سنقر الجوكندار في عام (684 هـ/ 1285 م) عندما رمم جامع حلب وصانعه محمد بن علي الموصلي بتولي محمد بن عثمان بن الحداد [10] الصورة (2)، وهو منبر دقيق الصنع مصنوع من خشب الآبنوس ومزين بالحشوات الخشبية من خشب الصنوبر والجوز والأبنوس ومرصع بالعاج والصدف وخيوط الفضة، مما يدل على براعة صانعه ورقيه في تلك الصنعة، ولكنه لم يكن مثل المنبر القديم الذي صنعه نور الدين الزنكي.

الصورة(2) منبر للجامع [11]

عندما أصبح الأمير علاء الدين ألطنبغا الصالحي حاكم المدينة (718 –739هـ/1318–1339م)[5] ، أعاد إنشاء الرواق الشرقي كما قام بإنشاء السدة بين العضادتين التاسعة والعاشرة من الصف الثالث وهي محمولة على أربعة أعمدة خشبية[2] وهذه السدة غير السدة الحالية للجامع، وفي عام (797هـ/1394م) بنيت الغرفة المجاورة للمئذنة كدورة مياه أحدثها الشيخ حمزة الجعفري [10] وقد كان مكتوباً على بابها أنها جددت في أيام السلطان برقوق، ثم ما لبثت أن تحولت لاحقاً

إلى غرفة للإمام خوفاً على المئذنة من تسرب المياه إلى أساساتها، وفتح لها باب من صحن الجامع، أما الرواق الغربي فقد كان مغطىً بسقفين خشبيين، وقد انهار هذان السقفان في عام (824هـ/ 1421م) فقرر أمير حلب يشبك اليوسفي إزالتهما وعمارتهما على شكل قبو وكان كل شيء جاهزاً عندما وافته المنية وقد شيد هذا القسم في الجامع بالحجر والكلس لاحقاً [5] .

وفي عام (853هـ/1449م) في عهد الملك الظاهر جقماق حينها كان كافل حلب قاتيباي الحمزاوي وكانت كل السلطات محصورة في المدينة بيد زين الدين عمر بن الصفا وقع خلاف بين المعماريين حول جدار القبلية الشمالي الذي فُتحت فيه أبواب تؤدي إلى المصلى. وكان رئيس المعماريين في ذلك الوقت "علي بن الدحال" ولم يكن لهذا الجدار مثيل في جماله ومتانته ولا في المواد الجيدة التي تم استخدامها أثناء بنائه. وقد مال القسم الأوسط من البناء إلى الأمام ولوحظت شقوق على الأقواس وكانت تتساقط بعض الحجارة الناعمة وقطع الملاط من الجدار الشمالي للمصلى، وفي أحد الأيام عندما كان الجامع مزدحماً بجموع المصلين سقطت حجارة عليهم ، فأسرع حاكم المدينة الحمزاوي بصحبة ابن الصفا وكبار القوم والمهندسين والبنائين. وقد أكد الجميع على خطورة وضع الجامع ولكنهم لم يصلوا إلى اتفاق في كيفية الترميم، وكان البعض يقترح هدم الجدار لإنقاذه، بينما أشار بعضهم بالحفر في صحن الجامع للوصول إلى أساس الجامع، وتعددت الاقتراحات حول السبب فمنهم اعتقد بأن السبب هو أساس الجدار، بينما رأى بعضهم أن السبب هو صهريج الماء أسفل الجامع، وعندما حفروا أسفل الجدار وجدوا أنه مبني على قناطر وبعد مداولات وتفكير طويل ظهر بأن السبب الحقيقي لكل ما جرى هو تجمع المياه في الصهريج الواقع تحت الرواق. ومع ذلك افترق الجميع دون الوصول إلى حل جذري سوى أمر الحاكم بتفريغ المياه [10]، وقد أشار بعض الموجودين بفك تمثال النسر الذي على باب القبلية (كونه يشكل قوة شد للجدار نحو الأمام) ومن ثم فك القبو المتقاطع وترك الجدار على حاله، فاستحسن ابن الدحال القول وأمرهم بنقض القبو الملاصق للحائط قليلاً قليلاً، وتم البدء بالعمل إلا أن عملية النقض زادت عن المطلوب فتقطع القبو

الملاصق للجدار [10] وتم أخذ جزء من حجارة النقض ووضعت في مدخل الباب الغربي.

العهد العثماني: قام العثمانيون بالكثير من الترميمات والإصلاحات في الجامع الكبير بحلب فقاموا كان منها: واجهة القبلية والأروقة والصحن وغيرها، وقد جدد جدار القبلية الشمالي في عهد السلطان مراد خان (مراد خان) بين عامي (1032هـ-1049هـ/1622-1639م) ومنح المدخل الأوسط للقبلية عناية خاصة فزخرف بالمزررات والزخارف النباتية وتداخل دوائر المرمر الأبيض والأصفر والأسود الصورة(3)، وفي عام (1042 هـ/ 1632 م) تم تجديد بلاط صحن الجامع مع الأروقة على يد زين الدين بك [4] وقد تم فرش البلاط الجديد فوق البلاط الأصلي للجامع الذي أصابه التلف نتيجة الكوارث التي مرت على الجامع الصورة(4).

الصورة (3) المدخل الأوسط للقبلية [11]

الصورة (4) أرضية الجامع المجددة [11]

الصورة (5) مقام سيدنا زكريا (من عمل الباحثة)

الصورة(6) الاسطرلاب في صحن الجامع [11]

في عام (1120هـ/1708م) جُعلت الحجرة شرقي المحراب الكبير وكُسيت جدران الحجرة وواجهاتها بالبلاطات الخزفية القاشاني وصار الناس يأمون الجامع الكبير لزيارة ضريح سيدنا زكريا الصورة (5)، ومنه أصبح البعض يسمونه "جامع سيدنا زكريا[11].

وفي عام (1237هـ/1821م) انهار الجدار القبلي من الرواق الشمالي، وأعاد بناءه أحمد قطر أغاسي ولم يعد إليه شرافاته، وفي عام (1300 هـ/ 1882 م) تم وضع الاسطرلاب في صحن الجامع لمعرفة وقت الصلاة [11] الصور(6)، وقد تم وضعه على نفقة البلدية في عهد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.

توهن الرواق الغربي وأشرف على الانهيار في عام (1302هـ/1884م) أيام جميل باشا، فأعيد بناؤه [4]، وجددت عمارة الحوض الكبير في صحن الجامع الصورة(7).

الصورة(7) الحوض الكبير [1]

في عام (1335هـ/1907م) وُسعت الحجازية وضُم إليها جزء من الرواق

الشمالي ووسع بابها والنافذتان فيها، وبُلطت أرضيتها ووسع باب القبلية من طرف الرواق الشرقي وبابها من طرف الرواق الغربي[4].

في عام (1341هـ/1932م) أُنشئ السبيل في الرواق الغربي، وفي عام (1343هـ/1924م) جُددت قبة الحوض الصغير، وبنيت الشرافات الحجرية للجدار الجنوبي في الرواق الشمالي[4].

العصر الحديث: في أواخر العام (1373هـ/1953م) أحدثت الواجهة الشمالية للجامع مع المدخلين الشمالي والغربي الصور(9) (10)، وذلك بعد فتح الشارع الذاهب شرقاً من أمام الجامع الأموي إلى القلعة مما أدى إلى إزالة معظم المباني أمام الجهة الشمالية للجامع، وجاءت هذه الواجهة من تصميم المهندس المعمار عبد المنعم حربلي [12].

الصورة(9) المدخل الغربي [1]

الصورة(10) زخارف المدخل الشمالي [1]

في عام (1420هـ/1999م) ونتيجة لدوران وميل المئذنة باتجاه الشمال الغربي بمقدار(39) سم بالنسبة إلى الشاقول، وبزاوية ميلان حوالي (0.4) درجة[13]. دعت الحاجة للقيام بأعمال تدعيمية للمئذنة استمرت بين عامي (1420-1427هـ/1999-2006م)، وتم على التوازي معها إجراء أعمال توثيقية كاملة للجامع بالإضافة إلى أعمال تدعيم أساسات الجامع بالكامل كما تم ربط جدران المئذنة للحفاظ على وضعها الانشائي، كما شملت الأعمال إجراء ترميم شامل للجامع بالإضافة إلى أعمال الديكور والإنارة الصور (11) (12)، وتم تحويل مرآب السيارات تحت الأرض

إلى مكتبة للأوقاف تحوي على المخطوطات والكثير من الكتب المطبوعة، وقد تم اعداد الدراسات الخاصة بالجامع من قبل أساتذة مختصين في جامعة حلب، بينما كانت الجهة المنفذة مؤسسة تنفيذ الانشاءات العسكرية بحلب، وبإشراف مهندسين محليين.

الصورة(11) صحن الجامع بعد التجديد [11]

الصورة(12) القبلية بعد التجديد [11]

تأثر الجامع بشكل كبير بالحرب التي دارت في سورية بين عامي (1434-1438هـ/ 2012-2016م) ولعل الضرر الأكبر كان تدمير المئذنة الأثرية بشكل شبه كامل في (2013/4/24م – 1435هـ)، الصورة(13)، ولحق الخراب بمعظم أجزاءه وخاصة الرواق الشرقي والحجازية، كما تعرض الرواق الشمالي في الجامع للحريق، الصورة(14)، بالإضافة إلى سرقة بعض القطع الأثرية من الجامع كالمنبر وباب الوالي، وتجري الآن أعمال ترميمية واسعة للجامع.

الصورة(13) المئذنة المدمرة [11]

الصورة(14) الحريق في الرواق الشمالي [11]

4- بناء المئذنة:

تـــاريخ البنـــاء: تـذكر المصـادر التاريخيـة أن بنـاء المئذنـة قـد بـدأ فـي عـام (483هـ/1090م) أيام السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان، بإشراف القاضي أبي الحسن محمد ابن يحيى بن الخشاب، إذ اضطر لأخذ حجارة من معبد للنار قديم العمارة كان بحلب وقد تحول حتى أصبح أتون حمام[4]، كما أورد ابن الشحنة نقلاً عن ابن أبي طي النجار الحلبي في تاريخه قوله:" أُسِّسَت العِمارة في هذه المَنارة في زمن سابق محمود بن صالح على يد القاضي ابن الحسن ابن الخشاب، وكان الذي عمرها رجل من سَرمين، وأنَّه بَلَغَ بأساسها إلى الماء، وعَقَدَ حِجارتها بكلاليب الحديد والرصاص وأتَمَّها في أيام قُسَيّم الدولة آق سُنقر" [5]، وقد أتم بناءها عام (489هـ/1096م) أيام رضوان بن تتش بن ألب أرسلان.

وبالتالي فإن بناء المئذنة تم وفق عدة مراحل تؤرخها الكتابات على المئذنة وهذه المراحل هي:

أساس المئذنة:

تَمَّ في أيام حاكم حلب سابق محمود بن صالح المرداسي الذي حكمها بين عامي (468 –472 هـ /1075–1079 م).

جسم المئذنة :

بدأ إنشاؤه عام (483هـ/1090م) كما هو منقوش في الطبقة السفلية الأولى من المئذنة في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه، وقد تم الانتهاء من بناء المئذنة عام (489هـ/1096م)، في عهد السلطان رضوان بن تَتَش، كما هو مكتوب في الشريط الكتابي الذي تم اكتشافه خلال عمليات ترميم المئذنة تحت شرافات الجوسق العلوي الشكل(2)، وهذا كشف جديد لم يذكر سابقاً في أي من المراجع التي أرخت لبناء المئذنة، أي أن بناء جسم المئذنة استغرق حوالي (6 سنوات).

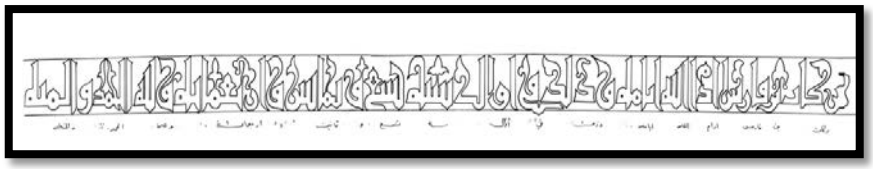

الشكل(2) الشريط الكتابي الأخير في المئذنة[1]

[1] وردت صورة هذا الشريط في الكتاب التذكاري عن أعمال الترميم في الجامع الأموي الكبير بحلب (1999–2005) تحت الطبع من إعداد: أ. محمد قجة، د.م مروان حمزة، م. تميم قاسمو.

الصورة (15)الجزء العلوي من المئذنة [11]

وصف المئذنة: المئذنة ذات مقطع مربع الشكل– على شاكلة مآذن العهد الأموي وقد امتد هذا الشكل من المآذن حتى أواخر العهد الأيوبي– وقد حُلّيت الأدوار الثاني والرابع والخامس بأقواس ثلاثية الفصوص ومتعددة الفصوص[10]، تعلو الشرفة الدور الخامس ويستند بروزها إلى مقرنصات ويتوسطها الجَوْسَق، الصورة (15).

الزخارف الخارجية للمئذنة مقسمة على التتابع إلى خمسة حقول أفقية، وقد تم نقش كتابات بالخطين الكوفي والثلث الأنيقين المستخدمين خلال الفترة الأتابكية على الحجر عند كل منسوب، وكلما ارتفع المنسوب في المئذنة، زادت الزخارف إتقاناً، وارتفعت درجة التفاخر في الكتابات حسب الترتيب السياسي الطبقي الشكل(3)، وقد وصفت في دائرة المعارف الإسلامية تقديراً لقيمتها الفنية والأثرية "وهي طراز وحده في عمارة العالم الإسلامي جميعاً بزينتها الثمينة الرائعة التي رفعت من شأنها ونقوشها المكتوبة بالخطين الكوفي والنسخ".

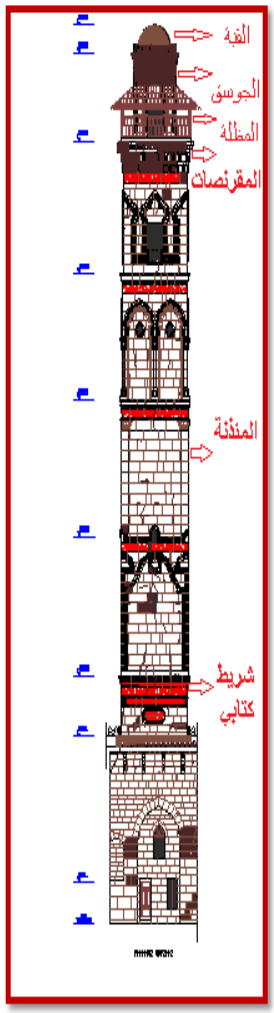

الشكل(3) مئذنة الجامع الأموي الكبير[13]

التغيرات التي طرأت على المئذنة: تعرضت المئذنة إلى عوامل جوية مختلفة وإلى عدة هزات أرضية عنيفة منها الهزة التي أصابت مدينة حلب عام (565هـ /1169 م) يقول ابن شداد:" لما جاءت الزلزلة بمدينة حلب وهدمت أكثر دورها وكانت ليلة الثامن عشر من شوال سنة (565هـ /1169م)، حَرَّكت المنارة وتَشَقَّقت "[3].

كما تعرضت لهزة قوية عام (744هـ/1343م) أثرت على الجامع وسببت الشقوق في المئذنة يقول الطباخ :"فلو رأيت حلب وقد أشرفت على سوء المنقلب، ووضح لجامعها فروق في أماكن وتعلمت منارته باب الإمالة وتحريك الساكن، فلولا

بركة النداء فيها لترخمت، ولكن الله سلم فسلمت"[5].

وفي عام (1373هـ/1953م) ونتيجة أعمال الترميم والتجديد التي تمت للجامع تم بناء جدار جديد يغلف الجزء الخارجي السفلي من الجدار الشمالي للمئذنة.

إن اعتماد التوظيف الخاطئ للمنطقة أسفل الساحة الخارجية للجامع كمرآب للسيارات واستخدام قسم صغير منه كمغسلة للسيارات سبب تسرب مياه المغسلة الواقعة بنفس مستوى أساسات المئذنة أو أعمق منها، وقد يكون ذلك بسبب وجود أقنية قديمة لنقل المياه مازالت موجودة، مما أدى إلى حصول ضعف في التربة، كما أن الزلازل التي مرت على المنطقة سببت ظهور تشققات مختلفة طولية وعرضية في الجدران الخارجية والداخلية للمئذنة، كما أدت هذه الهزات المتكررة إلى انكسار واهتراء أحجار كثيرة في الواجهات وزوال المواد الرابطة ممن الأحجار وإلى ميل غير منتظم للمئذنة باتجاه الشمال الغربي بحدود (35.84) بالنسبة إلى الشاقول، [12]. مما استدعى القيام بأعمال تدعيمية للمئذنة استمرت بين عامي(1420-1427هـ/1999-2006م).

في (2013/4/24م – 1435هـ) ونتيجة الحرب الدائرة في سورية تم تدمير قسم كبير من المئذنة الأثرية ولم يتبق منه سوى جذع المئذنة تحت سقف الرواق، وتجري الآن دراسات وأعمال ترميمية واسعة تهدف لإعادة بناء المئذنة الأثرية.

5- النتائج:

- تم في هذا البحث إعداد دراسة لتحديد تاريخ ومراحل بناء الجامع الأموي الكبير بحلب، وأعمال التدمير وعمليات الترميم خلال الأزمنة المتعاقبة، وقد تم التركيز على جوانب البناء والعمارة، وعرض مراحل الترميم وإعادة البناء، خلافاً للمراجع التي ركزت على الجانب التاريخي.
- **ظهر أول تسقيف بالحجر في الجامع الأموي في العهد المملوكي** أيام حاكم حلب قره سنقر الجوكندار خلال حكم السلطان قلاوون، إذ أعيد تسقيف الجامع بقبو متقاطع يستند إلى دعامات بدلاً من سقف جمالوني خشبي مستند على أعمدة .
- تُغفل معظم المراجع ذكر أنه قد كان هناك مئذنة أصلية تعود للعصر الأموي،

كانت تقع في الزاوية الشمالية للجامع ملاصقة لحائط القبلية وقد تم تدميرها في أثناء الغزو البيزنطي لمدينة حلب.

- دمر المغول وحلفائهم الجامع الأموي خلال فترتين متباعدتين (658 هـ/ 1258 م) و (679 هـ / 1280 م) وكانت المرة الأولى بقيادة صاحب سيس هيثوم الأول، والثانية بقيادة صاحب سيس ليو الثالث ابن هيثوم الأول **على خلاف ما ذكر في بعض المراجع أن الغزو كان مرة واحدة، وبعضها ذكر أن صاحب سيس هو نفسه في المرتين.**
- **إن بناء مئذنة الجامع الأموي السلجوقية استمر 6 سنوات** بين عامي (483هـ-489هـ/1090م -1096م) كما هو منقوش على المئذنة على خلاف ما ذكر في أغلب المراجع.
- إن دراسة عمليات الترميم المتكررة للجامع توضح الدراية الهندسية والحس الانشائي الذي تمتع به المهندسون والبناؤون المسلمون والعرب الأوائل، فقد كانتَ التجربة والممارسة العملية والخبرة التجريبية في اختيار الأبعاد المناسبة وفقاً للمواد المستخدمة في بناء العناصر الحاملة، إضافةً إلى التصوّر الهندسي للذين أنشؤوا المباني التراثية كانت كافيةً لتصميم الجامع بكافة أقسامه التي تميَّزت بالأمان الإنشائي.
- إن أعمال الصيانة والترميم أو التجديد كانت تحدث بالجامع الأموي الكبير باستمرار وفيما يلي جدول بأهم الأضرار وأعمال الترميم والتجديد التي مرت على الجامع:

تاريخ الضرر	سبب الضرر	الأضرار	المرمم	أعمال الترميم	تاريخ الترميم
129هـ /747م	العباسيون	نقب حجارته ورسومه ونقلها إلى جامع الأنبار في العراق			
351هـ/962م	نقفور فوكاس	حرق الجامع وتدميره	سيف الدولة الحمداني وابنه أبو المعالي سعد الدولة ومولاه قرعويه		351-354هـ/ 962-965م

564هـ/1169م	فتنة داخلية	احتراق الجامع والأسواق حوله	نور الدين الزنكي	ترميم الجامع ووسعه من الجهة الجنوبية الشرقية	564هـ/1169م
565هـ/1170م	هزات أرضية	تشقق المئذنة			
658هـ/1260م	المغول + صاحب سيس "هيثوم الأول"	احتراق الجامع	نور الدين يوسف بن أبي بكر السلمساني الصوفي	تنظيف الجامع وترميمه	685هـ/1260م
679هـ/1280م	صاحب سيس "ليو الثالث"	احتراق الجامع	قراسنقر الجوكندار خلال حكم السلطان قلاوون	ترميم الجامع واستبدال سقف الجامع الجمالوني بسقف متقاطع يستند إلى دعامات	679-684هـ/ 1280-1285م
744هـ/1343م	هزات أرضية	تشققات متفرقة في الجامع وميل المئذنة			
824هـ/1421م		انهيار سقفي الرواق الغربي	يشبك اليوسفي	إزالة سقفي الرواق وعمارتهما على شكل قبو	824هـ/1421م
853هـ/1449م		ميل الجدار الشمالي للقبلية وتشقق الأقواس	ابن الدحال في عهد الظاهر جقماق	نقض القبو الملاصق للحائط	853هـ/1449م
			السلطان مراد خان	تجديد واجهة القبلية	1039هـ/1630م
			متطوعون	ترميم القبلية	1110هـ/1698م
	هزات أرضية	تدمير الواجهة الجنوبية للرواق الشمالي	أحمد قطر أغاسي	إعادة بناء الواجهة الشمالية للرواق الشمالي	1237هـ/1822م
1302هـ/1884م		توهن الرواق الغربي	جميل باشا	إعادة بناء الرواق الغربي	1302هـ/1884م
1335هـ/1907م				توسيع الحجازية	1335هـ/1907م
			الحكومة السورية	أعمال ترميم وإعادة تأهيل شاملة من الأساسات وحتى المئذنة.	1420-1427هـ/ 1999-2006م

1433-1438هـ/ 2012-2016م		انهيار المئذنة والرواق الشرقي والحجازية واحتراق القبلية والرواق الشمالي	الحكومة السورية	أعمال ترميم وإعادة تأهيل شاملة من الأساسات وحتى المئذنة.	1438هـ- ...../ 2016م- .....

6- التوصيات:

ضرورة الاستفادة من الدراسات السابقة في إعادة ترميم ما دمر من أقسام الجامع في الفترة الماضية بغية التوصل إلى الشكل الأصلي للجامع الأموي قدر الإمكان وفق الإمكانيات المتاحة.

7- المراجع:

1- **الجرماني** بيشوف، 1880-تحف **الانباء في تاريخ حلب الشهباء**. المطبعة الأدبية، بيروت، صفحة 127.2-

2- **ابن شداد** عز الدين محمد بن علي،1991 م- **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**. الطبعة الأولى، ج1، تحقيق: علي زكريا عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، صفحة 103،103، 104، 32، 33، 35.

3- **الغزي** كامل،1342هـ - **نهر الذهب في تاريخ حلب**.ج2، المطبعة المارونية، حلب، صفحة.235، 235، 236، 238، 248.

4- **الطباخ** محمد راغب، 1988م- **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**. دار القلم العربي، حلب، ج2: صفحة 69، 70، 72، 141، 245، 273، ج3: صفحة 245، 330، 330، 330، ج1: صفحة 330، ج2: صفحة 331.

5- **ابن الشحنة** أبي الفضل محمد - **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**. تقديم: عبد الله محمد الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، صفحة 62، 64، 68، 67.

6- **ابن العديم** عمر بن أحمد، 1988م -**زبدة الحلب من تاريخ حلب**.ج1، تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، دمشق، صفحة 134.

7- الشابكة الالكترونية ضمن الموقع : www.alqudes-city.com

8- **المغلوث** سامي بن عبد الله بن أحمد، 2013 -**أطلس تاريخ العصر المملوكي**. العبيكان للنشر، الرياض، ط1، صفحة 76، 77.

9- **جاسر** شفيق-**جهاد السلطان الناصر قلاوون ضد الصليبيين**. الشابكة الالكترونية ضمن الموقع: https://islamstory.com

10- **أبو ذر** موفق الدين، 1996-**كنوز الذهب في تاريخ حلب**، ط1، ج1، دار القلم العربي، حلب، صفحة 211، 217، 215.

11- الشابكة الالكترونية ضمن الموقع : www.flickriver.com

12- **عثمان** نجوى،2009-الآثار **والأوابد الإسلامية في حلب وكلس وغازي عنتاب**. جامعة حلب، حلب، صفحة 197، 200، 198، 200، 200.

13- **كعدان** عمار،2002م- **دراسة وتحليل مئذنة الجامع الأموي الكبير بحلب (حالة عملية)**، مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة العلوم الهندسية، العدد 33، صفحة:406.